

هل المشكلة في العنوسة أم في الرجل الأبله ؟

فكيف استطاعت هذه المرأة تدبير أمورها طوال تلك السنين ، بدون زوج وبدون عمل ؟! لا يهم أن أذكر الجواب ولكنها في حياتها كانت المرأة المكافحة والمبدرة أمورها لكي تعيش بشرف ودون مد اليد لأحد ..

xxxxxxxxxx

ومن المفارقات الطريفة أنه في لقاء صحفي آخر ، قرأته وجه سؤال للإعلامية اللبنانية المعروفة بصراحتها وشجاعته وتحديها للكثير من المواقف ، نضال الأحمدية، والتي تعرضت في إحدى المرات لمحاولة القتل أمام بيتها ، وهي بالمناسبة صاحبة قناة « جرس » التلفزيونية ، ومجلة تحمل ذات الاسم ، عن سبب عدم زواجها ، بعد انفصالها عن زوجها ، رغم شهرتها ونجاحها في عملها ، فكان جوابها أن «الرجل المثقف يحارب ويصارع ويقارع المرأة المثقفة ، وعندما يريد الزواج فإنه يختار المرأة البلهاء» . هذا رأي الأحمدية المختلف عن رأي أندراوس. ولكنه الرأي الذي يحمله كثير من المثقفات أو لنقل الفتيات والنساء بمختلف مشاربهن الفكرية والثقافية . وهو رأي فيه الكثير من التجني على الرجل ! فربما يوجد الرجل الذي يختار العروس غير المتعلمة وغير المثقفة كشريكة للحياة ، والتي وصفتها الأحمدية بالبلهاء . وهو تجني على بنت جنسها أيضاً . إلا أنه في اعتقادي لا يُقدم على هذا الفعل إلا الرجل الأبله بالمثل ، لأنه من غير المعقول أن يتزوج الرجل المثقف امرأة غير متكافئة معه لا وعياً ولا ثقافة إلا إذا كان من هؤلاء الرجال غير السويين ، ذوي الشخصيتين ، الذين يختارون امرأة ، خادمة لهم ولأبنائهم ، وامرأة أخرى أو نساء أخريات ، خارج البيت للمتعة والإشباع الجنسي الذي يفتقدونه في البيت . لأن الرجل العاقل المتوازن ، هو ذلك الذي عندما يُقدم على الزواج يفكر بشريكة له تتساوى معه فكراً وعاطفة وثقافة ووعياً ، ليؤسساً معاً حياة مستقرة متكافئة يسودها الحب والتفاهم والاحترام ، وينشأ أبنائهم فيها أصحاء يتمتعون بالصحة النفسية والجسدية معاً ، وبالتالي ينشأ المجتمع الكبير، وهو الوطن ، خال من الأمراض النفسية المعقدة ، وخال من الفساد الأخلاقي المُقيت . وكم نرنو إلى مثل هذا المجتمع .. فهل في هذا غلو و.. بعيد المنال ؟!

في إحدى المساءات ، شاهد على شاشة إحدى القنوات العربية برنامجاً تلفزيونياً ، يتحدث عن أسباب عنوسة عديد من النجمات السينمائيات والتلفزيونيات والمثقفات عموماً ، رغم تمتعهن بالجمال اللافت والثقافة الواسعة ، حسب رأي مقدمة البرنامج التي استضافت عدداً من الضيوف، منهم طبيب نفسي وباحثة اجتماعية والنجمة الجميلة ليليان أندراوس ، مقدمة ومعدة برنامجها الشهيرين . على الهواء . «فش خلقك» و « شو اسمك » . وكان أن وجهت للمذيعة ليليان سؤالاً عن سبب عزوبيتها .. هل لأن الرجال قليل ؟ أم لأنها لم تجد الرجل المناسب ليكون شريكاً لحياتها ؟ وكانت الإجابة أن النصيب لم يأت بعد .. وأنها سعيدة بتربيتها لأبناء أخوتها ، وسعيدة بصداقاتها المختلفة ، وبأنها تشغل نفسها بالقراءة والاطلاع والدراسات والكتابات المختلفة ويعملها التي تحبه . حقيقة .. لا أدري لماذا يقلقنا بقاء الفتاة عازبة ؟! ويفزعنا عدم تزويجها ؟ وكلما تقدم العمر بالبت نصاب بالغم والههم ونضرب كفاً بكف ونلطم خدودنا وكان الدنيا أظلمت علينا أو لكأننا ضاعت البنت وأضحيت (بوراً) كالأرض الجذباء التي فقدت اخضرارها بسبب تركها بدون حرث ولا زرع !! متناسين ومتجاهلين أن الزمن لم يعد ذلك الذي كانت تُزف فيه البنت من بيت أبيها إلى بيت زوجها ومن ثم إلى القبر .. وللأسف، ما زال هناك الكثير من الناس في مجتمعاتنا العربية سجناء هذه النظرة الجاهلة والمتخلفة ، في حين تستطيع المرأة تدبير أمورها بنفسها دون الاعتماد على أحد وأن تصون شرفها وكرامتها وتحافظ على تقاليد مجتمعها وعلى احترام نفسها قبل احترام الآخرين لها . أسوق مثلاً على ذلك بامرأة ، من أقاربي ، عاشت طوال عمرها عذراء . لم تتزوج بسبب والدها الذي كان يرفض أي متقدم للزواج منها في انتظار ابن (السادة) ولم يأت الفارس المنتظر. حتى ماتت في بيتها وحيدة دون شريك أو ونيس ، وقد ناهزت السبعين من عمرها .



نادرة عبد القدوس
nadral@maktoob.com